استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في تزييف الواقع الاجتماعي عند الطفل

– قراءة في المخاطر والآليات –

The uses of social networks and their role in falsifying the social reality of the child
-Learn more about the risks and mechanisms-

اسلام شنية *
جامعة حمه لخضر بالوادي -الجزائر-،
islam-chenia@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام 2023/08/07 تاريخ القبول 2024/05/30

الملخص

أضحت اليوم شبكة الانترنت تشكل هاجسا بحثيا لما أنتجته من ممارسات وأنشطة عبر الفضاءات الرقمية التي تشكلت خلالاها، وتعد شبكات التواصل الاجتماعي أحد أهم الفضاءات الافتراضية لجميع فئات المجتمع، وخاصة منهم فئة الأطفال التي تعتبر كمصدر أساسي لهم يستخدمونها بشكل مكثف، الأمر الذي وَلَدَ مخاطر عديدة باتت تواجههم دون ادراكهم لها، نظرا لطبيعتهم السيكولوجية ومرحلتهم العمرية، والنظر إليهم على أنهم مادة خام يمكن تشكيلها وتكوينها بكل سهولة وبأي طريقة، وعليه فإن تغيير ادراكاتهم وتصوراتهم ورؤيتهم للواقع الاجتماعي الذي لا يعبر عن الواقع الحقيقي تعتبر من أبرز وأعمق المخاطر التي تواجههم، وهذا ما نسعى إلى ابرازه عن طريق استنادنا للمنطلقات الفكرية لنظرية الغرس الثقافي، ومحاولة الاقتراب من خلالها وملامسة استخدامات الطفل لشبكات التواصل الاجتماعي وما ينجر عنها من مخاطر لديه.

الكلمات المفتاحية: الاستخدام، شبكات التواصل الاجتماعي، تزييف الواقع الاجتماعي، الطفل، نظرية الغرس الثقافي.

Abstract*:*

Today, the Internet has become a research concern due to the practices and activities it has produced through the digital spaces in which it has been formed, Social networks are one of the most important virtual spaces for all segments of society, Especially among them, the category of children, which is considered a

primary source for them, and they use it extensively, which has generated many risks that they face without realizing it, due to their psychological nature. and their age group, Considering them as a raw material that can be shaped and configured easily and in any way, and therefore changing their perceptions, perceptions and view of social reality that does not reflect real reality is considered one of the most significant and profound risks they face, This is what we seek to highlight by relying on the intellectual premises of the theory of cultural implantation, and by trying to approach it and touch on the uses of social networks by the child and the risks that ensue for him.

Keys Words: *Use, social networks, falsification of social reality, child, theory of cultural implantation.*

مقدّمة:

تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي في كل المجتمعات أحد أكثر الشبكات استخداما في الفضاءات الرقمية، بل أكثر من هذا أصبحت حاجة ملحة وضرورية عند كل فئات المجتمع خاصة منها الأطفال والمراهقين والشباب، نظرا لما تحتويه من خصائص ومميزات، جعل منها المصدر الأساسي الأول لتلك الفئات سواء استعملت لغرض التواصل أو الترفيه أو الهروب من مشاكل الحياة اليومية وتعقيداتها، مما مكنها من فرض سيطرتها الكاملة مقارنة بوسائل الإعلام التقليدية التي تراجعت أدوارها وتأثيراتها بمجرد ظهور هذه الشبكات الرقمية.

واذا كان للشبكات التواصل الاجتماعي إيجابيات، فإن في مقابل ذلك لها سلبيات عديدة قد شكلت لدى الباحثين المهتمين بهذه الشبكات هاجسا بحثيا أدى بمسائلتها في العديد من الجوانب، كطبيعة استخداماتها، وانعكاسات هذه الاستخدامات عند الفرد وأثر كثافتها على الجانب السيكولوجي والاجتماعي لديه، كالجرائم الالكترونية بجميع أشكالها أبرزها اختراق للخصوصية وتلقي التهديدات والتعرض للتنمر الالكتروني و التشجيع على الانعزالية والانطوائية وضعف المشاركة الاجتماعية، شكلت هذه المخاطر في مجملها فقدان الذات للثقة والغرق في الادمان والعيش في عالم وهمي مزيف ليس له أي علاقة بالعالم الواقعي.

وتعتبر فئة الأطفال أكثر المراحل العمرية التي حظيت باهتمام الباحثين والدارسين خصوصا بعدما أصبح الفضاء الرقمي اليوم جزءا لا يتجزأ من الثقافة اليومية للأطفال التي تعد أكثر الشرائح الاجتماعية عُرضة للخطر أثناء استخدامهم لشبكات التواصل الاجتماعي، ومَرَدُ ذلك يعود لنقص الوعي الادراكي لديهم وعدم القدرة على التصدي أو استيعاب المخاطر التي يمكن أن تواجههم، فقد باتت هويتهم اليوم في خطر بعدما أصبحت لديهم هوية أخرى أطلق عليها الهوية الافتراضية التي بواسطتها صار لدى الأطفال حياة ثانية (the second life) يعتمدون عليها بشكل مكثف.

وفي السياق ذاته، يعتبر تزييف الواقع الاجتماعي أحد أكثر المخاطر التي يتعرض لها الأطفال أثناء استخدامهم للشبكات الرقمية، اذ هناك العديد من الأبحاث والدراسات التي أكدت دور وسائل الإعلام في احداث هذا الأمر، خصوصا إذا ارتبط هذا الفعل بالكثافة والتكرار الذي أدى بالطفل إلى فقدان التوازن والتمييز بين ما هو حقيقي وما هو مزيف في ضوء السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه، واذا ما أسقطنا هذه الممارسات على الفضاء الرقمي وبخاصة في شبكات التواصل الاجتماعي، نجد أن خطر التزييف قد زاد أكثر عند استخدام الأطفال للشبكات التواصلية وبطرق أكثر تنوعا وبأساليب مختلفة، وهذا راجع لخصوصية هذه الشبكات القائمة على الوسائط المتعددة بحد ذاتها، وبالتالي نلاحظ وجود العديد من التمظهرات التي تُترجم خطر التزييف نتيجة وجود العديد من العوامل المسببة في إحداث هذه الممارسات التي من شأنها قد تهدد نمو الأطفال وتنعكس على حياتهم الاجتماعية سلبا في مراحلهم العمرية القادمة عند المراهقة والشباب، وانطلاقا من هذا الطرح تسعى ورقتنا البحثية هذه إلى الإجابة على الإشكال الرئيسي التالي: **كيف يتم تزييف الواقع الاجتماعي خلال استخدام الأطفال لشبكات التواصل الاجتماعي في ضوء نظرية الغرس الثقافي؟**

وللإجابة على التساؤل الرئيسي تم تفكيكه إلى جملة الأسئلة الفرعية التالية:

1- ما هو محتوى نظرية الغرس الثقافي؟ وكيف تتجلى في الفضاء الرقمي؟
2- كيف يتمظهر تزييف الواقع الاجتماعي عند الطفل في الفضاء الرقمي؟
3- ما هي الأسباب المؤدية لتزييف الواقع الاجتماعي عند الطفل في الفضاء الرقمي؟
4- ما هي الآليات التي تحد من هذا التزييف؟

وللإجابة على الإشكالية، ارتأينا هيكلة الدراسة عن طريق إدراج المحاور التالية:

- الإطار المفاهيمي للدراسة.
- محتوى نظرية الغرس الثقافي وتجلياتها في شبكات التواصل الاجتماعي.
- مظاهر تزييف الواقع الاجتماعي عند الطفل في شبكات التواصل الاجتماعي.
- العوامل المؤدية لتزييف الواقع الاجتماعي عند الطفل عبر هذه الشبكات.
- آليات وقاية الطفل من هذا التزييف.

أولا: الإطار المفاهيمي:

1. الاستخدام:

يطلق هذا المفهوم على العلاقة التي تربط بين المستخدم والتقنية أو الوسيط الاتصالي، في سياق اجتماعي وثقافي محدد[1].

كما يعرف الاستخدام على أنه نشاط اجتماعي يتحول إلى نشاط عادي في المجتمع ذلك بفضل التكرار، كما تجدر الإشارة هنا إلى ضرورة التفريق بين الاستخدام والاستعمال، كون هذا الأخير قد

يتحول إلى الاستخدام في حال إذا تكرر الفعل (التكرار أحد المفاهيم الأساسية لنظرية الغرس الثقافي)، وقد يشير الاستخدام إلى الممارسات والسلوكيات والعادات والرؤى. وبدمج مفهوم الاستخدام مع مفهوم التكنولوجيا والفضاءات الرقمية فرض بدوره نوع من السلوكيات والأفكار والاتجاهات الجديدة[2].

ونعني بمفهوم الاستخدام في دراستنا هذه كل الأنشطة التي يمارسها الأطفال في الفضاء الرقمي عموما وشبكات التواصل الاجتماعي على وجه الخصوص بشكل روتيني ومتكرر، وترجع طبيعة هذه الاستخدامات أو الأنشطة إلى الطفل المستخدم بحد ذاته سواء كان بالإيجاب كالتنشئة الاجتماعية وزيادة المستوى التعليمي، أو بالسلب من خلال التأثير على الجانب السيكولوجي لديه والتعرض لمضامين بشكل متكرر وبكثافة عالية يجعل منها مصدرا لمدكاته ومرجعا لرأيته للواقع الاجتماعي.

2. الطفل:

جاء في معجم اللغة العربية: طفل جمعه أطفال: وهو الولد الصغير يتراوح عمره بين الولادة والبلوغ، والطفولة فترة ما بين الميلاد والبلوغ[3].

أما في الشق القانوني فالطفل وفقا لمعظم المعايير القانونية الدولية هو كل إنسان لم يتجاوز 18 سنة قد حددت معظم البلدان في العالم السن القانونية للرشد 18 سنة وهو نفسه في التشريع الجزائري فقد نصت المادة 442 من قانون الإجراءات الجزائية على ما يلي" يكون بلوغ سن الرشد الجزائي في تمام الثامنة عشر" أي يعتبر طفلا كل من لم يتم الثامنة عشر من عمره[4].

وتعد فترة الطفولة أهم مرحلة عمرية، إذ فيها تنمو قدرات وادراكات الطفل، ويكون مرحبا في الغالب للتأثر والتوجيه والتشكيل بسهولة، حيث تهتم كل من ميادين علم النفس وعلم التربية بدراسة والبحث في خطورة هذه المرحلة العمرية، وأهميتها في بناء وتشكيل شخصيتها ورأيتها للوقائع الاجتماعية، وكذا تحديد اتجاهاته خاصة بعد مواكبتهم لتكنولوجيا الإعلام والاتصال التي دخلت للبيوت دون أن تطرق الأبواب وأصبحت تشكل للأطفال خطرا يهددهم عن قرب وبشكل مباشر، الأمر الذي استدعى الاهتمام أكثر بهذه الفئة إذ هيئ للطفل الحماية والمراقبة والمتابعة، وفي السياق ذاته صدرت العديد من القوانين والتشريعات التي تكفل له الحياة والنمو نحو الطريق السليم معرفيا وعقليا واجتماعيا.

والطفل في دراستنا هذه هو الذي يندرج ضمن الفئة التي تكون مرحلتها العمرية من سنتين إلى غاية فترة المراهقة عندهم من ذكور واناث، يمكن التأثير عليها بكل سهولة وبأي طريقة، خصوصا هذه الأجيال الأخيرة التي واكبت ظهور شبكات التواصل الاجتماعي كفضاءات رقمية واستخدامها لها في حياتهم اليومية بشكل مكثف.

3. شبكات التواصل الاجتماعي:

لقد وردت العديد من التعريفات لهذه الشبكات الرقمية الاجتماعية برزت من خلالها جملة من الاختلافات والتي يتعود إلى اعتبارها وسائل تقنية من خلال تطورها التقني وتطبيقاتها المتنوعة من جهة واعتبارها وسائل اجتماعية تبرز من خلالها الأدوار المتمثلة في التواصل تلقي المعلومات وتداولها، والأبعد من ذلك تأثيراتها على الأفراد المستخدمين سواء كان إيجابيا أو سلبيا نتيجة من تحتويه من خصائص وسيمات تجاوزت الإعلام التقليدي كالصحافة والإذاعة وصولا إلى التلفزيون.

فهي شبكات افتراضية اجتماعية على الانترنت وتعتبر الركيزة الأساسية للإعلام الجديد أو البديل، التي تتيح للأفراد والجماعات والتواصل فيما بينهم عبر هذا الفضاء الافتراضي[5].

تعرف شبكات التواصل الاجتماعي بأنها مواقع على شبكة الانترنت توفر لمستخدميها فرص للتواصل وتبادل المعلومات والآراء والأفكار والمشكلات والثقافات من خلال الملفات الشخصية وألبومات الصور والفيديوهات المتنوعة وغير ذلك، وهي مجموعة هويات اجتماعية ينشئها أفراد لديهم روابط نتيجة التفاعل الاجتماعي، ويشملها هيكل أو شكل لجماعة اجتماعية[6].

ويمكننا أن نعرفها تعريف أكثر شمولية على انها صفحات الويب الموجودة على الأنترنت، والتي تسهل التواصل والتفاعل بين الأعضاء المشتركين فيها عبر مختلف مناطق العالم إضافة إلى العديد من الخدمات الأخرى التي تشمل خدمات المراسلة الفورية مشاهدة وتبادل الفيديوهات، الدردشة، تبادل الملفات، مجموعة النقاش...، لإضافة إلى العديد من الخدمات الأخرى كمشاركة الاهتمامات وتكوين الصدقات وإقامة الصفقات وغيرها من أشكال التفاعل التي تتم داخلها[7].

أما اجرائيا هي مجموعة من الشبكات والمواقع عبر شبكة الانترنت توفر لمستخدميها وخاصة منهم فئة الأطفال العديد من الاستخدامات كالتواصل وتبادل المعلومات وتلقي المضامين الإعلامية والغير إعلامية من صور ومقاطع فيديو عبر تطبيقاتها المختلفة، وأشهرهم الفايسبوك واليوتيوب والأنستغرام تحمل في طياتها تأثيرات عديد أهمها على الجانب المعرفي والادراكي للواقع الاجتماعي.

4. الواقع الاجتماعي:

هو فهم واستيعاب حقائق عن مشكلات وقضايا الواقع المرتبطة بالمجتمع ومعيشة الفرد للقضايا الموجودة في الحياة التي يعيشها والتي يظهر بعضها في وسائل الإعلام، ويشير هذا التعريف إلى مدى معرفة الأفراد بملامح المشكلات والقضايا السائدة في المجتمع[8].

ونقصد بالواقع الاجتماعي في هذه الدراسة، كل الأفكار والتصورات والصور الذهنية التي يحملوها الأطفال أو يمكن تشكيلها وتبنيها عن كل مجريات أو قضايا أو ممارسات المرتبطة بالمجتمع، وما يحمله من عادات وسلوكيات وقيم خاصة به يختلف وينفرد بها عن غيره من المجتمعات، كما ان هذا الأخيرة تؤثر وتتأثر من حيث كيفية أو طبيعة النظر إليها كواقع، ومن أهم العوامل المؤثر عليها نذكر تكنولوجيات الإعلام والاتصال وما انتجته من فضاءات ومواقع رقمية باتت ضرورية عند كل مجتمع وكحتمية تؤثر على واقعهم.

5. الفضاء الرقمي:

يعتبر مفهوم الفضاء الرقمي متعدد التسميات لارتباطه بمفهوم الشبكة العنكبوتية الانترنت بفعل التطبيقات الجديدة التي وفرتها، فرضت فضاء إعلامي اتصالي ذو صيغة افتراضية، ومن بين التسميات نجد الفضاء الالكتروني، الفضاء الافتراضي، والفضاء السيبيراني، فهذا المفهوم متعدد التسمية لوظيفة إعلامية اتصالية لها مدلولاتها في هذا الفضاء الإلكتروني، فالفضاء الرقمي أو العالم الافتراضي أو الفضاء السيبيراني أو العالم الإلكتروني كلها مصطلحات بمعنى واحد، الاتصال المستمر بين سكان الأرض على مستوى الشبكة[9].

هو ذلك المكان الذي أوجدته تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وفي مقدمتها الانترنت. ويرتبط الفضاء الرقمي ارتباطا وثيقا بالعالم المادي، عبر البنى المختلفة للاتصالات، والأنظمة المعلوماتية، وعبر العديد من الخدمات، التي لم يمكن بالإمكان الحصول عليها من دونه[10].

اما اجرائيا فيمكننا أن نعرف الفضاء الرقمي على أنه ذلك الفضاء التي تشكل نتيجة وجود شبكة الانترنت، يتم التواصل والتفاعل عبره من قبل الملاين من المستخدمين، ومن أهم الفضاءات الرقمية نذكر شبكات التواصل الاجتماعي كفضاء أتاح ممارسة العديد من الأنشطة كالتواصل ونشر الأفكار والتسلية ومتابعة كل ما هو جديد وغيرها، ومن بين أكثر الفئات التي تُبحر في مثل هذه الفضاءات نجد فئة الأطفال.

ثانيا: مقترب الدراسة:

1. نظرية الغرس الثقافي:

تعود هذه النظرية إلى الستينات من القرن الماضي، لصاحبها "جربنر" في دراسته اتي قام بها بعنوان "مؤشرات الثقافة"، عندما شهد المجتمع الأمريكي فترات الاضطرابات بسبب مظاهر العنف والجريمة، مما أدى إلى تشكيل لجنة قومية لبحث أسباب العنف وعلاقة التلفزيون بذلك، حيث قام الباحثون بأبحاث عديدة وركزت معظمها على المضامين التلفزيونية وأثرها على إدراك الجمهور للواقع الاجتماعي[11]، خاصة عند فئة الأطفال التي أصبحت تحمل سلوكيات عنيفة وعدوانية، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع مستوى الخطر داخل المجتمع الأمريكي.

كما تعتبر النظرية تطبيقا للأفكار الخاصة بعمليات بناء المعنى وتشكيل الحقائق والتعلم من خلال الملاحظة والأدوار التي تقوم بها وسائل الإعلام؛ فالغرس نوع من التعلم العرضي الذي ينتج عن التعرض التراكمي لوسائل الإعلام، حيث يتعرض الأطفال دون وعي إلى حقائق الواقع الاجتماعي لتصبح بصفة تدريجية أساسا للصور الذهنية والقيم التي يكتسبوها عن العالم الحقيقي.

حسب جربنر فإن الغرس الثقافي يهتم باكتساب المعرفة أو السلوك من خلال الوسيط الثقافي الذي يعيش فيه الإنسان، فكأن البيئة الثقافية بأدواتها هي التي تقوم بعملية الإكساب والتشكيل والبناء للمفاهيم والرموز الثقافية في المجتمع، وتعتمد النظرية على متغيرين أساسيين: المتغير

المستقل المتمثل في عادات وانماط المشاهدة (كثيف، قليل) والمتغير التابع في الأفكار والصور الذهنية والقيم والاتجاهات وغيرها[12].

ترى نظرية الغرس الثقافي أن الفرد الذي يتعرض لوسائل الاتصال الجماهيرية تنغرس فيه قيم وتصورات تجعله يتبناها ويظن أنها فعلا ما يحدث بالواقع، وبالتالي تنغرس فيه لا شعوريا فإذا سألناه عن ظاهرة ما يكون تفسيره ونظرته حسب ما يتلقاه من هذه الوسائل ومغايرة تماما للواقع، بحيث يتقبل الفرد ما يشاهده على أنه تعبير حقيقي للواقع، لكنه غير واع بعملية صنع هذا الواقع، بل إن وعيهم لا يتعدى الشعور بالتسلية أو الاستمتاع بالمحتوى على اختلاف طبيعته[13].

كما تقرر هذه النظرية، ان عملية بناء الواقع تبدأ من خلال تلقي المضامين الإعلامية التلفزيونية بالانتباه، والمشاهدة لمضمون ما ثم تبدأ بعد ذلك تأتي مرحلة التعلم التي تسبقها عوامل مثل الانتباه والتذكر والقدرة على الربط بين المعلومات من البيئة، بعد ذلك تأتي عملية بناء الواقع الاجتماعي في إطار المهارات الشخصية والمعطيات الاجتماعية المحيطة بالفرد، وأخيرا تأتي عملية إدراك الواقع الاجتماعي التي تؤثر على السلوك وتكون بمثابة مرشد للسلوك[14].

كما ترى نظرية الغرس الثقافي على أن برامج التلفزيون لا تعكس ما يحدث في العالم الخارجي، لكنها تقدم عالما مصطنعا يركز على قضايا معينة اعتمادا على إرادة واهتمام اولئك الذين يتحكمون في وسائل الإعلام، وفي نهاية المطاف يؤدي تراكم أو كثافة التعرض للتلفاز الافتقار إلى الادراك الصحيح للقضايا الاجتماعية إلى خلق عالم مصطنع يصبح أكثر واقعية بالنسبة للمتلقي[15].

تفترض نظرية الغرس الثقافي ان الأشخاص الذين يشاهدون كميات ضخمة من البرامج التلفزيونية ويشار إليهم عادة بكثيفي المشاهدة يختلفون في إدراكهم للواقع الاجتماعي عن أولئك الذين يشاهدون كميات قليلة من برامج التلفزيون أو لا يشاهدون ويشار إليهم بقليلي المشاهدة، ذلك ان كثيفي المشاهدة سيكون لديهم قدرة أكبر على إدراك الواقع المعاش بطريقة متسقة مع الصور الذهنية التي ينقلها عالم التلفزيون[16].

وترتكز نظرية الغرس الثقافي على خمسة فروض أساسية:

- أن الناس في المجتمعات المعاصر أصبحوا أكثر اعتمادا على مصادر غير شخصية للخبرة.
- ان خلق وغرس معتقدات لدى الأطفال يرجع إلى التعرض التراكمي الثابت والمتكرر لعالم التلفزيون.
- يقدم التلفزيون عالما متماثلا من الرسائل الموحدة والصور المتكررة إلى الحد الذي يعتقد معه المشاهدون الأطفال أن الواقع الاجتماعي يسير على الطريقة نفسها التي يصور بها التلفزيون كشكل من أشكال تزييف رؤية الأطفال للواقع الاجتماعي.
- يمتص الأطفال المعاني المتضمنة في عالم التلفزيون بشكل غير واع.

- يؤكد وجود ارتباط قوي بين حجم المشاهدة ومعتقدات المشاهدين خاصة منهم الأطفال حول الواقع الاجتماعي، بحيث تتشابه إدراكات كثيفي المشاهدة، ويظهرون إدراكات ترتبط بعالم التلفزيون أكثر من ارتباطها بالواقع الحقيقي الموضوعي[17].

2. مقترب الغرس الثقافي في السياق الرقمي:

ان المتتبع للتراث الفكري والنظري التي جاءت به نظرية الغرس الثقافي، يلاحظ الدور أو التأثير البارز الذي شكلته وسائل الإعلام عموما والتيلفزيون على وجه الخصوص على فئة الأطفال، من خلال التأثيرات البالغة عليهم التي انعكست على وتصرفاهم وادراكاتهم والتي أصبح سلوكهم عنيف وذا عدوانية جراء المضامين التي كانوا يتلقونها دون وعي، ولهذا وبغوصنا في الفضاءات الرقمية خاصة شبكات التواصل الاجتماعي التي شكلت هاجسا وقلقا بحثيا أصبح يؤرق الباحثين والمختصين في مجال علم الاجتماع وعلم النفس وعلوم الإعلام والاتصال، وكذا العلوم القانونية لما لها من تأثيرات بالغة على الأفراد وخاصة على فئة الأطفال، هذه الأخيرة التي باتت لا تستطيع الانفلات من استخدامات هذه الشبكات، ولا على تأثيراتها عليهم.

إذا، من خلال الطرح السابق يمكن القول ان الأطفال اليوم بين نوعين من الاستخدام، أما النوع الأول من يستخدم شبكات التواصل الاجتماعي استخداما إيجابيا وعقلانيا بشكل غير مكثف ولا يوحي إلى الادمان، في حين هناك من الأطفال من يستخدمون هذه الشبكات بشكل مكثف ويتعرضون للمحتويات عبرها في كل الأوقات دون وعي وإدراك، هذا الأمر حسب جربنر صاحب نظرية الغرس من شأنه أن يغرس فيهم معتقدات وأفكار، ويؤثر على مدركاتهم النفسية، إذ يصبح كل ما يتعرضون له خلال استخدامهم لشبكات التواصل يشكل لهم ويبني لديهم صورا ذهنية من قيم وتصورات يؤمنون بها عن الواقع الاجتماعي ينسجم ويتوافق مع ما تعرضوا له في هذه الشبكات لا مع الواقع الحقيقي الذين يعيشون فيه، وهذا من بين أكبر المخاطر التي تهدد الأطفال بشكل مباشر وعلى الوالدين بطريقة غير مباشرة.

ومنه، فان المتغير الأساسي التي ركزت عليه هذه المقاربة هو كل من الكثافة أو التكرار في الاستخدام الذي يقودان بالطفل إلى مرحلة الإدمان وفقدان الرغبة في اللعب أو المشاركة في أمور حياته مع الأسرة والمجتمع، بل يستند إلى كل ما تعرضه شاشة الهاتف أو الحاسوب، وبالتالي يؤثر هذا الأمر في تمثلاته الاجتماعية والثقافية، كون أن التمثل في هذا السياق يعني الكيفية أو الطريقة التي يرى بها الأطفال إلى الآخرين ضمن إطار سوسيو ثقافي عبر شبكات التواصل الاجتماعي، أو من زاوية أخرى تصور الطفل وطريقة معاملته مع الآخر (الوالدين، الأصدقاء، "**المسجد**"، المدرسة...)، هذا الأخير الذي يُفترض أن يُشكل من خلالها الطفل أفكاره وتصوراته وقيمه التي يجعلها كمبادئ ثابتة وصحيحة يجعل منها كمرجعية له في تفسيره لكل مجريات حياته الاجتماعية.

لكن وبدون سابق انذار، نجد غوص الأطفال اليوم في الفضاءات الافتراضية قد قلص من دور الأفراد والمؤسسات التي سبق ذكرها، وأصبح من الصعب إقناعهم باعتمادهم عليها في اكتساب معارفهم أو التسلية والترفيه عن أنفسهم، والأهم من ذلك في تنشئتهم تنشئة صحيحة قائمة على أسس صحيحة تحترم الشريعة الإسلامية والقيم المجتمعية التي تتوافق مع الواقع الاجتماعي، فأصبحت السيطرة بقبضة شبكات التواصل الاجتماعي، التي وجدت ضالتها في غرس فئة الأطفال بالمضامين والمحتويات وبطرق مختلفة أكثر جاذبية منها عن وسائل الإعلام التقليدية، فهم لا يستوعبون ولا يدركون بين ما هو صحيح وخاطئ وبين المزيف والغير مزيف، في شتى المجالات، وعلى رأسها المجال الثقافي والاجتماعي.

كما أنا كثافة استخدام لشبكات التواصل الاجتماعي، وكتعزيز مما ما ذكرناه سابقا مضر بالأطفال وشخصيتهم الرقيقة فهم يعانون اليوم على كافة الأصعدة اجتماعيا ثقافيا وعاطفيا...، بحيث يتحكم مشاهير شبكات التواصل الاجتماعي اليوم، بهوية جيل كامل، وبقيمه وصحته، ويظهر هذا على صحتهم العقلية وعلى ادراكاتهم المعرفية أكثر من جانب آخر، حيث تعد أكبر التحديات التي تواجه الأطفال اليوم هي اكتشاف ذاتهم وتطوير شخصيتهم، حيث تمنحهم هويتهم الخاصة شعورا بالاستقرار والاتزان مع مرور الوقت، سابقا اعتاد الأطفال الاعتماد على الواقع الاجتماعي الحقيقي كالخروج مع الأصدقاء والبدء بخوض المغامرات، وارتكاب الأخطاء واكتشاف الذات، أما اليوم قلما يقوم الأطفال بأي مما ذكرناه؛ فهم يفضلون البقاء في غرفهم، ليكتسبوا الهوية التي ترسمها لهم شبكات التواصل الاجتماعي[18]، هوية مشوهة وغير منسجمة مع الواقع الاجتماعي، والاكتفاء بما يتلقاه في هذه الفضاءات التي باتت وسيلة أساسية لدى هذه الفئة يستخدمونها لأغراض واهداف غير واضحة وبدون استحضارهم للوعي الذي يمكن أن يرشدهم ويصوبهم بين المضامين الصحيحة السليمة، وبين المضامين المضللة والمزيفة التي ليس لها صلة بالواقع الاجتماعي تماما.

ثالثا: تمظهرات تزييف الواقع الاجتماعي عند الأطفال في الفضاء الرقمي

1. تشكيل انطباعات وصور غير حقيقية:

يقوم الانطباع الذهني عند الأطفال على الادراك المباشر للموضوع وعلى مصادر غير مباشرة، كما هو الحال عند التعرض لمحتويات شبكات التواصل الاجتماعي، كما أن منه ما يقوم على مصادر أخرى يشكلها الخيال، ويتخذ الأطفال احكامهم على أساس ما يحملونه من انطباعات بما في ذلك ما يتعلق بتقبل الذات وتقبل الآخرين اذ ان السلوك الجماعي يتأثر إلى حد كبير بالانطباعات الفردية والجماعي، علاوة على ذلك تتيح شبكات التواصل الاجتماعي للأطفال ان يشكلوا انطباعات من منظور مختلف عما هو سائد في الواقع الاجتماعي الفيزيقي، لذلك الانطباعات تتسع لتشكل صورا ذهنية عن أساليب السلوك المختلفة، بما فيها السلوك الاجرامي والعنيف بشتى أنواعه[19].

2. غرس قيم اجتماعية مناقضة للواقع:

يمكن أن نستشف خلال استخدام الأطفال لشبكات التواصل الاجتماعي مجموعة من القيم الاجتماعية التي تدعو إلى سلوك يتنافى والقيم التي يعيش عليها المجتمع في الواقع، فهي تمجد قيما غير القيم التي لابد وأن ينشأ عليها أطفال، ويرجع ذلك إلى المحتوي الرقمي التي يعرض في هذه الشبكات التي ربما في مصادر لها ثقافات غير الثقافة التي يجب أن لابد تغرس في الطفل، فالمضامين هنا تنمو بالأطفال نحو الانفعال واتخاذ القرارات غير العقلانية، على نحو لا يتفق مع ثقافة الطفل، بالإضافة إلى الهبوط في الذوق وغيرها من تمظهرات التزييف التي تؤثر أو تتلاعب بمدركاتهم العقلية.

3. التضليل في الوقائع والشخصيات:

ان قوة تأثير المحتويات الرقمية المعروضة عبر شبكات التواصل الاجتماعي يمكن القول عليها أنها تتضاعف بالخصوص على فئة الأطفال، لدرجة تجعلهم يتذكرون أحداثا ووقائع في المضامين التي تنساب إليهم عبر الفيسبوك أو اليوتيوب أو الأنستغرام ...، ذات دلالات سيئة ويلمون بمحتواها ويعرفون برموزها وبأبطالها التي يمكن أن تكون شخصيات كرتونية من جهة أو حقيقية كالمؤثرين الاجتماعيون، هذه الأخيرة التي تؤثر حتى على المراهقين والشباب ويزيد التأثير عند الأطفال بشكل أكثر، وفي مقابل ذلك يجهلون معظم المقررات الدراسية المتعلقة بتاريخ بلادهم، ويجهلون رموزها الوطنية، وهذا ما يعمل على تزييف وعي هؤلاء الأطفال بقضايا مجتمعهم وتاريخهم، ويدفعهم إلى اتباع سلوكيات سلبية[20]. كما ان متابعتهم للمؤثرين الاجتماعيين عبر الشبكات الافتراضية وخاصة عبر التيك توك والأنستغرام الذي يغيب عنهما الجدية في طبيعة المحتوى المنشور، قد ساهم بشكل ملحوظ في إغراء الأطفال خاصة القريبين من سن المراهقة، وغرس في نفوسهم حب الماديات والظهور واثبات الذات بشكل منحرف وغير أخلاقي لا يحترم خصوية المجتمع الإسلامي.

4. طغيان التنشئة التكنولوجية على حساب الاجتماعية:

ان من بين المخاطر التي تثير القلق لدى الآباء والامهات بشكل خاص هي الشكوك المتزايدة بأن الأطفال الذين يكبرون في الفضاء الرقمي سوف يصبحون عبيدا للتكنولوجيا، وبالتالي أقل اجتماعية، بل وأقل إنسانية، وبينما نحتضن ابتكارات جديدة، فإننا في كثير من الأحيان نتبنى أساليب حياة غير متوقعة، فإذا تحدثنا مع أهالي الأطفال سنكتشف المزيد من عدم اليقين حول الطرق غير المتوقعة والتي من خلالها تقوم التكنولوجيا ونمط الحياة الرقمي بإعادة تكوين تجربة الطفولة[21]؛ أي بمعنى تجربة قد تكون منافية للعادات والتقاليد والقيم المتعارف عليها في المجتمع وترويج لنمط تكويني مزيف لديهم.

5. ادمان (كثافة) الاستخدام:

تعتبر ظاهرة إدمان استخدام شبكات التواصل الاجتماعي من أبرز المخاطر التي تؤثر على المستوى الادراكي للطفل، وهذا عائد بالدرجة الأولى لكثافة الاستخدام التي أدت إلى صعوبة التفاعل

مع بعضهم البعض خارج نطاق الفضاء الرقمي، وبالتالي تدهورت مهاراتهم الاجتماعية. ولم تعد هذه الشبكات تشكل للأطفال كثيفي الاستخدام أو المدمنين مجرد أداة تكنولوجية[22]، بل ينظر لها على انها أداة تمثل مرجعية تفسيرية وكمصدر للمعلومات لدهم سواء كانت صحيحة وتعبر عن الحقيقة أو لا، مما يؤدي إلى تشكيل صورة ذهنية مزيفة عن الواقع الاجتماعي، وهذا ما ينجر عنه مخاطر أخرى تابعة كالكذب والغش وعدم المصداقية وإخفاء الحقائق عن الوالدين وانهيار الثقة وغيرها من المخاطر التي تهددهم بشكل مباشر.

6. البناء الوهمي للذات:

ان بناء الذات الافتراضية قد تكون، بالنسبة للكثير من الأطفال المستخدمين لشبكات التواصل الاجتماعي مخرجا من الشعور بالوحدة والاكتئاب أو تعويضا للتسلية والترفيه كما يصفه "اهرنبارغ" إنه سعي يهدف إلى ملأ الفراغ الذي يعيشه الفرد بين تصوره لنفسه (النموذج الذي تسعى ذاتية الطفل ان تكونه) واستبطانه لوضعه الطبيعي (الذات كما يعيشها).

وفي السياق متصل فإن الطفل المولع باستخدام شبكات التواصل سيتمكن، وبالقليل من الاستثمار من الجهد، من بناء ذات أكثر تناغما وتماثلا مع رغباته، وذلك من خلال آلية الذوات الافتراضية؛ هذه الذوات لا تجد مرجعتها، بطبيعة الحال، في الواقع الاجتماعي، بل الواقع الذي تخلقه الذات الحقيقية لنفسها[23]، وهذا ما يؤدي وبدون شك إلى خطر يتجسد في الذات التي أصبحت تحمل اشباعات ورغبات تعكس حاجاتهم الذاتية التي وجدوها خلال ابحارهم في الفضاء الرقمي القائم في الكثير من الحالات على التزييف والخداع، ولكن هذه الحاجات لا تعكس بالضرورة الواقع الاجتماعي الحقيقي القائم على أسس وقواعد وأعراف وكذا قيم تضبط من شأنها سلوكيات الأطفال وتبين لهم الحاجات التي يمكن اشباعها والحاجات التي لا يجب اشباعها التي تتنافى مع قيمهم وعقيدتهم الدينية والاجتماعية.

7. عقدة الشهرة المزيفة:

ان الملاحظ والمتابع لشبكات التواصل الاجتماعي في الآونة الأخيرة، يجد أن نسبة الاقبال لفئة الأطفال في ارتفاع دائم من خلال التشهير بهم وإتاحة لهم فرصة الظهور والوقوف أمام شاشة صغير تمثل لديهم عالم واسع في اعتقادهم انه العالم الحقيقي والذي ينبغي أن يعيشوا وينموا على أساسه، مما يجعلهم دائمي الظهور وبشكل مكثف على الشبكات الافتراضية (التيك توك، الأنستغرام، اليوتيوب، السناب شات...)، هذا الأمر يوقعهم في المبالغة بالبحث عن الاهتمام والتميز والشعور برضى الآخرين المتابعين عنهم، والسعي إلى تلقي التفاعلات الإيجابية، كما أن هذه الأخيرة ليس بالسهل المحافظة عليها، اذ يسعى الأطفال دائما أن يحافظوا على عدد المعجبين والمتابعين لديهم وكسب رضاهم الدائم عنهم بأي طريقة ممكنة ولو كان ذلك على حساب القيام بتجاوزات على مستوى أخلاقهم وقيمهم أو ربما حتى شرفهم، إلى درجة يصبحون المتابعين لديهم هم المؤثرين

عليهم، الأمر الذي ينجر عنه إلى نشر محتوى منحرف تماما لا يتناسب مع أعمارهم؛ أو بالأحرى لا يتناسب مع قدراتهم العقلية والنفسية، وكل هذا سببه عقدة الشهرة المنغرسة في أذهانهم التي ستؤثر بدون أدنى شك على مراهقتهم وشبابهم مستقبلا وينمون بشكل غير طبيعي على المستوى النفسي والاجتماعي.

وفي السياق ذاته، ومن زاوية أخرى يشكل هذا التمظهر الأخير في استخدام الأطفال للشبكات الافتراضية إلى التأثير في فئة أخرى من الأطفال وهم المتابعين للمحتويات المختلفة عن الأطفال الذي لديهم صفحات وحسابات عبر الشبكات الافتراضية، بحيث يطمحون أن يصبحوا مثلهم أو أن يقلدونهم، لانهم يعتقدون أن ما يشاهدونه من هذه المحتويات الخاصة بهم تعكس حياتهم الحقيقة من رفاهية وحرية اللباس(المحتشم) والسلوك(الرقص) وغياب التضييق والاختلاط وغيرها...، يجعل الأطفال يتوهمون ويحملون صور ذهنية عن حياة اطفال آخرين وراء شاشة الهاتف ويعتقدون أنها الحياة التي ينبغي أن تكون لديهم والتي ينبغي أو يحق أن يعيشوا تجربتها، وينغرس كذلك في أذهانهم بأن أباءهم وأمهاتهم متسلطون عليهم ولا يمنحونهم الحرية اللازمة مثل ما شاهدوه، وغيرها من الاعتقادات الخاطئة التي تهدد حياتهم وتصعب للوالدين تربيتهم بسبب ضبابية أو غياب المعيارية.

رابعا: العوامل المؤدية لتزييف الواقع الاجتماعي عند الأطفال في الفضاء الرقمي:

1. التلاعب بخصوصيات المعطيات الشخصية للطفل:

ان من بين الأسباب الرئيسية في استهداف هذه الفئة من المجتمع ضعف وسذاجة الطفل، ومن أهم الانتهاكات التي قد تمس المعطيات الشخصية للطفل تتمثل في النشر الغير مبرر لتلك المعطيات والتي قد لا تعكس الواقع الاجتماعي عند الكثير من المجتمعات الأخرى التي لها خصوصيات مختلفة عنها، كأن يتم التقاط صورا له وهو يمارس أعمالا شاقة بحجة تصوير برنامج اجتماعي يسعى لمكافحة عمالة الأطفال[24]، أو أن تنشر معلومات عن كيفية وطريقة معاملة الوالدين للطفل وغيرها من المعلومات التي تنشر في الفضاء الرقمي، وعلى هذا الأساس يتم نشر خصوصيات الأطفال من جهة، وإلى التأثير على الأطفال الآخرين الذين يتلقون هذه المعطيات التي قد تكون مزيفة ولا تعكس الواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه من جهة أخرى.

2. غياب الرقابة الوالدية للأطفال:

تشكل الرقابة ممارسة تعكس مدى وعي الآباء والامهات ومدى ادراكهم لخطورة ترك الأطفال أمام شاشات الهاتف دون محاولة منهم الاطلاع لطبيعة المحتويات والمضامين التي يتعرضون لها خلال استخدام أطفالهم لشبكات التواصل الاجتماعي، وعليه فإن غياب دورهم الرقابي يعني إعطاء الضوء الأخضر للأطفال بتلقيهم أي محتوى يريدونه ويرونه يشبع حاجاتهم سواء كان إيجابيا أو لا، وهذا حسب اعتقادنا من أهم وأخطر الأسباب التي تؤدي بالطفل ان يتبنى بكل ما يتعرض له دون قيود أو

رقابة يمكن من شأنها أن تضيق عليه أو أن تحدد له ما يجب أن يتعرض له وما لا يجب أو متى يستخدم ومتى لا يستخدم وغيرها من الممارسات التي تعكس الدور الرقابي للوالدين.

3. التأثر بثقافة الشاشة أو الثقافة الرقمية:

يرى عبد الوهاب بوخنوفة أن مفهوم الثقافة قد عرف تحولا جذريا بفعل افرازات الثورة الرقمية، وفي ضوء ذلك فان الثقافة المثقفة، لم تعد تمثل المرجعية لدى الأطفال، إذ حلت محلها ثقافة جديدة ناشئة من الانترنيت، أن هذا التغيير يؤثر في العلاقة التي يقيمها الأطفال مع باقي المؤسسات الاجتماعية، كالأسرة، المدرسة، ويعدل في الطريقة التي يُهَيكلون بها حياتهم الاجتماعية ويفسرون بيها واقعهم[25].

وتقوم هذه الثقافة على ثلاث سيمات وهي كالآتي:

- متناقضة: أي ما يتلقاه الأطفال من مضامين ثقافية مزيفة عبر شبكات التواصل الاجتماعية متناقضة مع ثقافتهم المعبرة عن واقعهم الاجتماعي، وهذا راجع لخاصية اللامكانية واللازمانية التي تتميز بها الانترنت؛ أي أنها منفتحة لجميع الثقافات عبر العالم بسبب العولمة الإعلامية التي نعيشها اليوم.
- ومضية: تجعل الأدوات التي انتشرت فيما قبل كخردوات بسبب سرعة التطور، فالمنتجات التكنولوجية تفقد صلاحيتها بسرعة، فإذا كان التلفزيون قد كان له تأثير كبير على الأطفال وهو ما أكدته العديد من الأبحاث والدراسات التي اعتمدت على مقترب الغرس الثقافي، فيمكن القول ان الانترنت وما شكلته من فضاءات رقمية قد أصبحت لها تأثيرات أكثر خطورة وأكثر عمقا على الأطفال لما لها من خصائص رقمية بعيدة كل البعد عن الوسائل التقليدية.
- أنها ثقافة شاشتية: كون أن هذا الجيل من الأطفال يعيش في بيئة تحتل فيها الشاشات مكانة معتبرة، إذا أصبحت شاشات الهاتف والحواسيب كتقنيات في بعدها المادي على حد تعبير الباحث الكندي "مارشال ماكلوهان" كحتميات تكنولوجية لا يمكن الاستغناء عنها، تؤثر على الأفراد وتحدد لهم طبيعة تفكيرهم الحياة الاجتماعية.

4. الاستخدام الخاطئ:

ان استخدام الخاطئ لشبكات التواصل الاجتماعي يؤدي إلى العديد من المخاطر نتيجة مشاركة الكثير من المعلومات وعدم الخصوصية، حيث يواجه الطفل اليوم حيز تقني يقضي فيه ويتفاعل مع مكوناته بدون تعديل أو توجيه، مما يجعله ضحية لمؤثرات تشكل قيمه ومعتقداته وسلوكياته بعيدا عن المعايير الاجتماعية والقيمية المحددة.

ففي سياق متصل، وجدت دراسة "سنك" أن الأطفال من خلال العناصر الموسيقية المستخدمة في البرامج الإعلانية أو الترفيهية التي يتعرضون لها في شبكات التواصل الاجتماعي، وتكسبهم أنماط اجتماعية مختلفة؛ حيث يتم تفكيك وإعادة انتاج هذه العناصر اجتماعيا وتتمثل في واقع اقتنائهم

للملابس واختيارهم لتسريحة الشعر والتعابير والسلوكيات التي يمكن أن تتنافى مع الواقع السوسيو ثقافي للطفل، وهنا يجعلنا في مواجهة حقيقية ان أحكام الطفل في حالة تطور مع التقدم في العمر مما يضعه عرضة للخطأ في الحكم على مضامين الصور والرسائل التي تصله ويجعله عرضة للاستغلال والابتزاز[26].

5. رعاية الطفل بدل التربية:

يؤكد العديد من علماء التربية على وجود اختلاف بين كلا مفهومي التربية والرعاية، هذه الأخيرة قائمة على أبعاد مادية فيزيولوجية يوفرها الآباء والامهات للطفل كتوفير الأكل والشرب وحق التمدرس ومستلزمات اللعب والرفاهية وغيرها ما تكفُل له النمو الجسدي، ولكن في المقابل نجد التربية لها أبعاد تبتعد كل البعد عن الرعاية كونها تهتم بالجانب النفسي والادراكي للطفل أكثر من الجانب المادي؛ أي بمعنى الاهتمام بطبيعة تعلم الطفل وكيفية تنمية إدراكاته وقدراته، بالإضافة إلى كيفية المعاملة واكتساب الخبرات عن طريق تنشئته تنشئة صحيحة تؤدي بالطفل إلى اكتساب ادراكات وصور ذهنية سليمة عن العديد من الجوانب الحياتية الخاصة به، وعلى رأسها الدينية والاجتماعية عن طريقة تربية الطفل في كيفية تواصله وتفاعله الاجتماعي، زيادة على ذلك الطريقة التي يرى بها واقعه الاجتماعي.

ومع سيطرة شبكات التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية التي يعتبر الطفل الحلقة الأضعف فيها، إذ تعقَدَت تربيته بحيث فرض على كل من الأب والأم بتكثيف الجهود في التربية، بما يتماشى مع التطورات الراهنة التي باتت تشكل خطرا على هذه الطفل إذ نجد جل تركيزهم على رعايته بدل التربية.

خامسا: الآليات التي تحد من تزييف الواقع الاجتماعي للطفل:

1. ضرورة المتابعة الوالدية:

حسب السيد عبد القادر شريف فإن المتابع الوالدية هي أحد جوانب التربية وعن طريق التربية يكتسب الطفل القيم الأساسية الصحيحة (الغير مزيفة) والدعامات الأولى لبناء ذاته وشخصيته في محيط الأسرة وهذه الأخيرة تقوم بنقل التراث من جيل إلى جيل فيتعلم الامتثال والاندماج في المجتمع وبها تكون المتابعة للطفل والاهتمام به بالتوجيه والإرشاد المتواصل[27].

ولقد بينت الدراسات أن الأطفال ما دون سن الدراسة الذين لا يفرقون بسهولة بين ما هو خيالي مزيف وما هو واقعي؛ وما يفهمونه من المشاكل السلبية (غياب شرح الوالدين لأبعاد المضامين والمحتويات الرقمية والمغزى والعبر) ان العنف ضروري ومحبذ[28].

2. الإصغاء والاستماع للطفل:

دائما ما تتشكل لدى الطفل العديد من التساؤلات التي تشكل له قلقا أو فضولا يسعى إلى معرفتها وإيجاد إجابات لها من شأنها تزيد من أفكاره ومعارفه وتتضح له العديد من النقاط الغامضة

لديه، وعلى هذا الأساس لابد على الوالدين من الإصغاء للطفل ومحاولة تبادل الحوار والنقاش معه وتنويره بالأفكار التي كانت غامضة لديه، أما غير ذلك فإن غياب هذا الدور من قبل الوالدين يؤدي بالطفل إلى البحث عن مصادر أخرى لإشباع حاجاته، ومن بينها وأخطرها شبكات التواصل الاجتماعي التي يمكن أن تزوده بمعلومات وحقائق غير التي عليها في الواقع الاجتماعي، وهذا الخطر سينعكس على علاقاته مع أفراد أسرته ومع الأخرين الذين يرتبط معهم.

3. العمل على نشر الوعي على مستوى المجتمع والأسرة:

حول كيفية الاستخدام الإيجابي لشبكات التواصل الاجتماعي، وإقامة دورات تدريبية ولقاءات تناقش أخطار هذه الشبكة، وإيجاد جاذبة وترفيهية تقلل من سطوة هذه المواقع على عقول الأطفال وتزييف مدركاتهم، وهذا يؤكد أهمية وضرورة تكافئ المؤسسات التربوية والتعليمية وحكومية لوضع آليات لتحديد احتياجات مستخدمى هذه المواقع من الأطفال[29].

وفي السياق ذاته يقول "عبد الوهاب بوخنوفة" بهذا الخصوص:" لا بد من تربية الأطفال على التعامل مع هذه الفضاءات الرقمية، ومعرفة طبيعتها ومنطق عملها وسيرها، وكيف تنتج المعنى، وتعليمهم فك الرموز ولغة هذه الفضاءات من خلال تعليمهم كيفية فهم وتحليل الصور التي تشكل أساس المحتويات عبر شبكات التواصل، وينبغي أن نعطي لأطفالنا الوسائل الفكرية لتمكينهم من تحقيق استخدام فاعل للشبكات، وأيضا إعطائهم إمكانية إنتاج وإبداع الرسائل بأنفسهم، التعبير عن أنفسهم بواسطة هذه اللغة، وبديهي كلما اتجهنا نحو العمق كان واضحا أننا في حاجة إلى تطوير المهارات"[30].

4. زيادة الاهتمام لبحوث ودراسات علاقة الطفل بالأنترنت:

وهنا لابد من الفاعلين؛ سواء الرسمية أو الأهلية من تفعيل آليات الضبط الاجتماعي والحسم في العلاقات العضوية بين إكراهات التحولات التكنولوجية والتحولات الاجتماعية، حتى نضمن للطفل حقه في انتماء سوسيولوجي، يضمن له نمو لائق على المستوى المعرفي الادراكي والسوسيو اجتماعي، وتشكيل شخصية سوية لا تتخللها أي أفكار أو تصورات لا تتوافق مع الواقع الاجتماعي لديه.

ومع سيطرة الميديا الجديدة اليوم، أصبح الفرد محاصرا بكم من الوسائل الإعلامية التي تتفق في بعضها مع قيمه وأخلاقه وثقافته، ولكنها في المقابل وبشكل كبير تقدم مضامين ومعلومات وصورا مشوهة من جانب بعض الدول أو الهيئات أو الأفراد عن وقائع اجتماعية وثقافية لمجتمعات الأخرى، مما يجعل الانترنت ببعض مضامينها وفضاءاتها التي تشكلت خلالها كشبكات التواصل الاجتماعي وسيلة اتصالية خطيرة في تزييف الواقع، المتابع لهذه الرسائل يلحظ تشويها متعمدا لكثير من الثقافات والأديان والتاريخ وغيرها مما يؤدي إلى نقل معلومات مضللة أو مشوهة إلى المتلقي، فضلا عما تروجه من مضامين غير أخلاقية يمكن أن تساهم في تقويض منظومة القيم عند الأطفال[31].

إذا انطلاقا مما سبق لابد من الاهتمام بموضوع التربية الإعلامية وتفعيل آلياتها لتمكين الطفل من استخدام آمن وواعي لشبكات التواصل الاجتماعين وتسليحه بأساليب مواجهة المد العولمي الذي بات واقعا مفروضا في حياتنا، وتشجيع الأطفال وتمكينهم من الاستخدام الواعي والفعال للتكنولوجيات الحديثة، وتنمية مهاراتهم الإدراكية والمعرفية، وقدراتهم، في إطار مشروع تمكين الطفل من اكتساب الطرق الصحيحة للتعامل مع هذه الفضاءات الرقمية[32].

ومن زاوية أخرى في السياق ذاته، يمكن القول ان التربية الإعلامية تعد آلية محورية للتخلص من الانعكاسات السلبية لاستخدامات شبكات التواصل الاجتماعي، فهي تمثل حاجزا يقي الطفل من الإدمان الافتراضي، ويَقيه أيضا من الأفكار التي تشوه تصوراته عن واقعه، وعن الاحداث التي يعيشها وتلك التي يتعرض لها، فهي تساعد المستخدم لوسائل الإعلام بشكل عام وشبكات التواصل الاجتماعي بشكل خاص من السير وفق منهج سليم يجنبه الانحراف والانسياق وراء التضليل والتزييف.

فالتربية الإعلامية تسعى في مجملها إلى القضاء على أمية استخدام شبكات التواصل الاجتماعي والتفاعل معها، لذلك تسعى التربية الإعلامية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف تتمثل فيما يلي:

1- فهم كيفية عمل وسائل الإعلامية وشبكات التواصل الاجتماعي، واكتشاف ما تحمله مضامين من قيم.
2- الاختيار الواعي للمضامين عبر هذه الشبكات.
3- توجيه الأسرة للاستفادة المثلى من وسائل الترفيه والتقنية الحديثة[33].
4- كيفية التصدي للاستمالات (العقلية، العاطفية، التخويف) الموجودة في المضامين أثناء استخدامهم.
5- كيفية المحافظة على الهوية الاجتماعية والثقافية، والنفور من كل ما يشكل لهم خطر على هويتهم كالتهديد والجرائم الالكترونية والتنمر، واختراق الخصوصية وغيرها من الممارسات الموجودة في الشبكات الافتراضية التي يمكن ان تشكل خطرا على الأطفال.

5. ضرورة توافق تعليم الطفل مع الواقع الاجتماعي:

تهدف التربية الحديثة إلى ربط معارف الطفل المتعلم التي يكتسبها في مراحل تكوينه وتعليمه كلها بواقعه الاجتماعي، من أجل رصد الطفل لهذه المعارف وممارستها ممارسة واقعية تمكنه من مواجهة مختلف المواقف الحياتية، لأن التباعد الفعلي بين مضمون المعارف المقدمة للطفل وما يعيشه في واقعه حقيقة يخلق شرخا بينه وبين ما يكسبه مع معارف، فتنعدم القابلية لأي معرفة قد تقدم ويحدث نفور له منها، هذا من جهة ومن جهة أخرى يجد هذا الطفل تضاربا واضحا عند خروجه إلى أرض الواقع يحاول تجسيد معارفه ومكتسباته التي نقلت إلى ذهنه فلا يجد لها صدى في واقعه، ومنه يعجز الطفل عن تجسيد ما تعلمه، وبالتالي قد يؤدي به إلى فقدان الرغبة في ملامسة واقعه

ومحاولة تجديده وتغييره، أو يعتمد على مصادر أخرى يعتقد أنها هي من ستساهم في تعليمه كاستخدامه لشبكات التواصل الاجتماعي التي تغرس فيه كم هائل من المعلومات الغير متوافقة مع واقعه السوسيوثقافي.

وبعبارة أخرى وأدق؛ بناء مجتمع وفق الأساس الواعي المراد تربية الأطفال على نظامه؛ ليكون متأقلما مع ما يعيشه في بيئته التعليمية وواقعه الاجتماعي وما يتلقاه من معارف مختلفة فيها تتطفل على حياتهم شيئا فشيئا والتي يقومون بترسيخها في اذهانهم مع مرور الوقت ومع ما يتعاملون معه حقيقة وواقعا، متمكنون بذلك من تجسيد المفاهيم العقلية الادراكية التي تعلمونها والتعامل بها في شتى المواقف الاجتماعية[34].

وفي سياق متصل، لابد من أصحاب التعليم (الأساتذة، الوالدين، الأئمة...) أن يحرصوا كل الحرص على تزويد الطفل بالمعلومات والمعارف ذات الارتباط الشديد بالواقع الاجتماعي والثقافي الذي يتواجد فيه، والأهم من ذلك أن يواكبوا تكنولوجيات المعلومات والاتصال وما تمخضت عنها من فضاءات وتعدد مصادر للمعلومات التي أصبحت اليوم تهدد الأطفال وتشكل لديهم خطرا يحتاج إلى تظافر الجهود للحد أو التقليل من هذا النوع من المخاطر.

خاتمة:

نستخلص مما تقدم في ورقتنا البحثية، أن للشبكات التواصل الاجتماعي أدوارا عديدة عند مستخدميها، ولكن طبيعة الاستخدام هي من تختلف من فرد لآخر، فهناك من يستخدمها في الإيجاب والاستثمار فيها، وهناك عكس ذلك، ولأن الأطفال هم الحلقة الأضعف داخل أي مجتمع يسهل التأثير عليهم والتلاعب بهم بجميع الطرق، مما أدى هذا الأمر إلى وجود العديد من المخاطر المتجلية بقوة التي تواجههم أثناء تبحرهم في الفضاءات الرقمية وفي استخدامهم لشبكات التواصل الاجتماعي على وجه الخصوص، بحيث يصلهم كم هائل من المحتويات والمضامين المغلوطة والمزيفة مع مرور الزمن يتم تبنيها وتصبح كمرجع بالنسبة لهم ليس لها أي صلة مع الواقع الاجتماعي الذين يعيشون فيه، وهذا يعتبر خطرا قد يؤثر على تنشئتهم الاجتماعية، ومن هنا ينعكس على مراهقتهم وشبابهم على مستوى ادراكهم ورؤيتهم للواقع والكيفية التي يفسرون بها الأحداث والوقائع الاجتماعية التي تحيط بهم، ولتفادي هذه المخاطر يتطلب تكثيف الجهود اللازمة والفعالة التي تحمي أطفالنا وتُصوب مسارهم وتصوراتهم نحو الاتجاه السليم وفق ما يفرضه المجتمع من قيم وعادات وأسس تحترم العقيدة الإسلامية. وفي هذا الصدد يمكننا تقديم جملة من الاقتراحات والتوصيات التي لابد من الاعتماد عليها وتفعيلها للحد من هذه المخاطر وهي كالآتي:

1- ضرورة انشاء لجنة خاصة بالرقابة الالكترونية متعلقة بالمضامين التي تستهدف فئة الأطفال بشكل مباشرة، باعتبار أن ضياع الأطفال اليوم يعني بالضرورة ضياع الشباب في الغد.

2- التوعية المستمرة والهادفة من قبل المختصين والباحثين في علم الاجتماع التي تحد من مخاطر التزييف الاجتماعي الذي له امتدادات خطيرة أخرى تنعكس على الأطفال والأسر والمجتمع عموما.
3- محاولة خلق نوع من الاتزان النفسي لدى الأطفال بحيث يعكس تصوراتهم نحو المجتمع والواقع ووفق المنطق الصحيح والبعيد عن الخيال والتزييف الذي يمكن أن يقعوا فيه كضحايا أثناء تلقيهم للمحتويات الرقمية.
4- الضرورة المُلحة في تفعيل مهارة الانصات والاستماع بشكل فعال جدا مع الأطفال خاصة مان قبل الآباء والأمهات، ومحاولة اثراء النقاش والتواصل المستمر معهم في جميع القضايا مهما كانت طبيعتها وجديتها.
5- كما لابد في الأخير، وفي محاولة مواكبة التطورات الهائلة الخاصة بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات وما تولد عنها من فضاءات ومواقع اجتماعية من تكثيف الجهود البحثية وفي زوايا أخرى مختلفة حول هذه الفئة التي باتت اليوم تحت خطر حقيقي يهدد حياتهم ومستقبلهم نفسيا واجتماعيا وما ينجر عنها من مخاطر أخرى كالعُقَد النفسية والاغتراب النفسي والاجتماعي والهروب المستمر من الواقع...الخ.

قائمة الهوامش والمراجع:

1 نمس وداد، (2021)، دراسة المستخدم في الفضاء السيبراني: إشكاليات وتحديات، مجلة رقمنة للدراسات الإعلامية والاتصالية، المجلد، العدد 2، ص 169.

2 ارايس علي ابتسام، (2016)، نظرية "الاستخدامات والاشباعات" وتطبيقاتها على الإعلام الجديد (مدخل نظري)، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 25، ص 3.

3 أحمد مختار عمر، (2008)، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، د ط، ص 1405.

4غرداين خديجة، (2017)، حماية الطفل الجانح من قانون حماية الطفل الجديد، المجلة المتوسطية للقانون والاقتصاد، المجلد 2، العدد 2017، ص 183.

5 دراجي ابتسام، (2017)، شبكات التواصل الاجتماعي: فضاءات افتراضي للتواصل الإلكتروني، مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، المجلد الأول، العدد الأول والثاني، ص 203.

6 العنزي موضى بنت شليويح، (2017)، دور شبكات التواصل الاجتماعي في السلوك الاستهلاكي لدى الأسرة في مدينة الرياض، مجلة شؤون اجتماعية، العدد 136، ص 150.

7 عبادة نور الهدى، (2016)، شبكات التواص الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية: الفرص والتحديات، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26، ص 289.

8 فاروق صالح هناء، (2014)، البرامج الساخرة بالتلفزيون وعلاقتها بإدراك المراهقين للواقع الاجتماعي، مجلة دراسات الطفولة، المجلد 17، العدد 63، ص 131.

9 برغوث مريم، (2022)، مفتاح نادية، الفضاء الرقمي ونشر ثقافة الحراك الشعبي-الجزائر نموذجا-، مجلد أبحاث، المجلد 7، العدد 1، ص 312.

10 بركات نوال، (2014)، الفضاء السايبر والعلاقات الاجتماعية في المجتمع في المجتمع الافتراضي-بين جغرافيا الواقع والجغرافيا الافتراضية-، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 12، ص 274.

هلال المزاهرة منال، (2012)، نظريات الاتصال، عمان-الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، د ط، ص 11.340

12 رداوي منال، (2017)، تأثير القنوات التلفزيونية العربية المتخصص في برامج الأطفال ثقافة الطفل الجزائري-دراسة ميدانية على عينة الأطفال بمدينة المسيلة-، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، المجلد 5، العدد 15، ص 217.

13 خضرة عمر المفلح، (2014)، الاتصال المهارات والنظريات وأسس عامة، عمان، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، د ط، ص 165.

14 الطيب عبد النبي عبد اللّه، (2014)، فلسفة ونظريات الإعلام، مصر، الدار العالمية للنشر والتوزيع د ط، ص 151-152.

15 Mosharafa, Eman**,** (2015), All you Need to Know About: The Cuitivation Theory, Global Journa of Human Social Sacience, Issue 8, Vol 15, p 24.

16 المكاوي حسن عماد، السيد ليلى حسين، (1997)، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، د ط، ص 300.

17 رداوي منال، (2018)، واقع ثقافة الطفل من خلال برامج الأطفال التلفزيونية" التلفزيون الجزائري نموذجا" دراسة استطلاعية على عينة من الأطفال من ولاية المسيلة، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد 2، العدد 1، ص 48.

18 بكاري رشيد، (2019)، تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الصحة النفسية والاجتماعية للطفل، مجلة التمكين الاجتماعي، العدد الأول، ص 49.

19 بالتصرف: الهيتي هادي نعمان، (2007)، الإعلام والطفل، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، د ط، ص 115.

20 مهري شفيقة، (2014)، الظاهرة الإعلامية المعاصرة في صورتها التلفزيونية بين نظرية الغرس الثقافي وأساليب الوقاية من الإدمان، مجلة الكلمة، المجلد 21، العدد 84، ص 120-121.

21 تنيو فاطمة الزهراء، (2019)، مفيدة طاير، هل الفضاء الرقمي عدو للأطفال؟، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد السادس، ص 190.

22 حمايدية صارة، (2015)، الطفل الجزائري وشبكات التواصل الاجتماعي-دراسة في الاستخدامات والاشباعات عبر الفيسبوك-، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي-، الجزائر، ص 110-111.

23 الصادق رابح، (2014)، فضاءات رقمية قراءة في المفاهيم والمقاربات والرهانات، بيروت-لبنان، دار النهضة العربية، د ط، ص 133-134.

24 ابراهيم عبد الرزاق، فرحات سمير، (2022)، الحماية القانونية للمعطيات الشخصية للطفل في الفضاء الرقمي، مجلة القانون العام الجزائري والمقارن، المجلد الثامن، العدد 02، ص 86.

25 - قاسحي فيروز، (2017)، برامج الطفل التلفزيون وأثرها على ثقافة الطفل الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الثامن، ص 115.

26 بن محمد الهاشمي سلطان وآخرون، (2020)، أثر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على تنشئة الطفل في المجتمع العمانية (التعليمية، الاجتماعية، والنفسية، الصحية)، عمان، جمعية الاجتماعيين العمانية، ص 71.

27 حسروميا لويزة، دريد فطيمة، (2018)، جودة العلاقات الوالدية مع الأبناء في ظل تأثيرات مواقع التواصل الاجتماعي" موقع يوتيوب نموذجا" دراسة ميدانية بمدينة باتنة، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 33، ص 118.

28 التوزري فتحي، (2022)، المضامين التلفزيونية الموجهة إلى الأطفال ومسألة العنف والانحراف، مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية، عدد 01، 2022، ص 99، ص 105.

29 بن بخمة رمضان، (2022)، الأطفال وشبكات التواصل الاجتماعي التحديات والمخاطر وآليات الحماية والترشيد مقاربة نظرية، مجلة المعيار، مجلد 26، عدد 3، ص 625.

30 بوخنوفة عبد الوهاب، (2015)، الطفل العربي والتربية على التعامل مع وسائل الإعلام السمعية البصرية.. الدور الغائب للمدرسة، مجلة الإذاعة العربية، العدد 2، ص 83.

31 قامون سمية، مبني نور الدين، (2020)، مخاطر مواقع التواص الاجتماعي على الأطفال وآليات والوقاية، مجلة المعيار، مجلد 24، عدد 52، ص 177.

32 مدفوني جمال، عبان سيف الدين، (2018)، استخدامات الأطفال المتمدرسين للانترنت والانعكاسات المترتبة-دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ الاكماليات في ولاية أم البواقي-، مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، المجلد الثاني، العدد الخامس، ص 70-71.

33 ضيف ليندة، (2017)، التربية الإعلامية في ظل الإعلام الجديد شبكات التواصل الاجتماعي انموذجا، مجلة المعيار، عدد 42، ص 454-455.

34 بوقاعدة كريمة، (2019)، التعليم الجزائري والواقع الاجتماعي-دراسة في الآليات والاهداف-، مجلة تعليمات، المجلد 01، العدد 02، ص 36.